بسم الله الرحمن الرحيم

الأخلاق فى شعر شوقى

للأستاذ على النجدى ناصف

المدرس بدار العلوم

يلقب شوقى (رحمه الله) بشاعر الأخلاق ، كما يلقب حافظ إبراهيم بشاعر الوطنية ، والمتنبي بشاعر الحكمة ، وابن أبي ربيعة بشاعر الغزل ، وكما يلقب آخرون بألقاب أخر .

والمفهوم أن هؤلاء وأولئك لم يمنحوا ألقابهم عبثاً ، ولم يؤثروها عفواً ، ولكن لأنهم صنعوا للأغراض الشعرية التى اشتهروا بها وأضيفوا إليها مالم يصنع أحد من الشعراء .

فهل ترى شوقى وهو الذى يعنينا الآن - قد صنع للأخلاق مالم يصنع الشعراء ، ووصل شعره فيها إلى مالم يصل إليه شعر سواه ؟ هذا ما أردنا بيانه وتفصيل الحديث عنه فى هذا المقال .

ولا بد لكى نبلغ غايتنا من أقصد طرقها وأبعدها من الالتواء والشطط أن

«١» — الخلق الفاضل كما يصوره شوقى .

«٢» — مبلغ تصويره له من الفن والفلسفة .

«٣» — موازنة بينه وبين غيره فى ذلك .

«٤» — الرأى فى سبب تلقيبه بشاعر الأخلاق .

«٥» — نقد وتحليل .

(١)

أما شعر شوقى فى الخلق الفاضل فها هو ذا :

قال من نهج البردة :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ومن قصيدة الأزهر :

زمن المخاوف كان فيه جنابهم حرم الأمان وكان ظلهم الذرا

من كل بحر فى الشريعة زاخر ويريكه الخلق العظيم غضنفراً

ومن قصيدة تكريم واصف غالى باشا :

إنما واصف بناء من الأخـ ـلاق فى دولة المشارق عالى

ومن قصيدة فى تهنئة والى مصر المرحوم عباس حلمى ببعض الأعياد .

والصدق أرفع ما اهتز الملوك له وخير ما عود ابنا فى الحياة أب

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن قصيدة فى استقبال طيارين عثمانيين :

إذا المفاتل من أخلاقهم سلمت فكـــل شىء على آثارها سلما

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت مضوا فى اثرها قدما

ومن قصيدة العلم والتعليم :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

ومن قصيدة ذكرى المولد :

فلولاها لساوى الذئب ليثا وساوى الصارم الماضى قرابا

ومن قصيدة انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة

وما السلاح لقوم كل عدتهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب
لو كان فى الناب دون الخلق منقبة تساوت الاسد والذؤبان فى الرتب

ومن النشيد القومى :

على الاخلاق خطوا الملك وابتنوا فليس وراءها للعز ركن

ومن قصيدته بعد المنفى :

وليس بعامر بنيان قوم إذا كانت نفوسهم خرابا

ومن قصيدة الاعتداء على المغفور له سعد زغلول .

وأين من الخلق حظ البلاد إذا قتل الشيب شبانها
وأين من الريح قسط الرجال إذا كان فى الخلق خسرانها

ومن قصيدة ملكة النحل :

مخلوقة ضعيفة من خلق مصوره
ياما أقل ملكها وما أجل خطره
قف سائل النحل به بأى عقل دبره
يجبك بالأخلاق وهى كالعقول جوهره
تغنى قرى الأخلاق ما تغنى القوى المفكره
ويرفع الله بها من شاء حتى الحشرة

هذا مايقول شوقى عن صاحب الخلق الفاضل وشأنه فى الناس ، وعن الخلق الفاضل نفسه وأثره فى حياة الافراد والجماعات ،

فأما صاحب الخلق الفاضل فما زادكما ترى — على أن شبهه بالاسد هيبة وبأسا وبالبناء العالى عظمة وإشرافا . وأما الخلق الفاضل فيشبهه بأساس البناء ، وسلاح المحارب ، وبالركن الركين ، والريح العظيم . وهى صور متقاربة تقل فيها الألوان ،

وليس يكفى فى الدفاع عن شوقى هنا أن يقال : ان لوحدة الموضوع دخلا فى ذلك ، لأنها قيدت خياله وحدت من تفكيره ، فهذا المدح فى الشعر العربى على قلة صفاته واشتباك بعضها ببعض — قد استطاع الشعراء أن يأتوا فيه لكل صفة بصور لاتكاد تحصى كثرة وتنوعا . بل لقد استطاع بعضهم أن يأتى فى مدح الممدوح الواحد بأروع الصور وأعجبها افتنانا ، دون أن يخرج من ذلك عن المعروف من صفاته وأعماله .

وشىء آخر نأخذه على تصوير شوقى للخلق الفاضل وصاحبه ؛ أنه قريب الفكرة شائع الخيال ، لافيه طرافة ولا ابتكار ، وليس له حظ من عمق الفلسفة وروعة الفن . ولعلى لا أتهم بالاسراف حين أذكر أن الدهماء لايشق عليهم أن يأتوا بمثله ، حتى فى مقاولات السوق ومناقلات السمر .

ومن العجيب بعد هذا أن يكرر شوقى بعض هذه الصور ، وأن يلح فى التكرار إلحاح المقل ، لا يكاد يظفر ببعض الوجد حتى يثقل على النـــاس بالحديث عنه والمكاثرة به .

استمع اليه يدير الأخلاق على معانى البناء وأحواله والبناء وأجزائه ، واعجب معى لهذه المعاودة المملة ، تكاد تستنفد صبر الحليم :

إنما واصف بناء من الأخـ ـلاق فى دولة المشارق عال
بنيت لهم من الأخلاق ركنا فخانوا الركن فانهدم اضطرابا
على الاخلاق خطوا الملك وابتنوا فليس وراءها للعز ركن
وليس بعامر بنيان قوم إذا كانت نفوسهم خرابا

أما أسلوبه فيقوم تارة على الازجاء والعرض ، وتارة على الأمر والنهى ، وتدر فيه على الحالين البينات والأسباب . كأنه اسلوب الحقائق المقررة ، والأوليات المسلمة ، أو أسلوب الصرامة والاستبداد .

فمن الأول قوله :

ومن الآخر قوله :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركـــن

وقوله .

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالاخلاق تستقم

وهى كما ترى أوامر جافة ، لا تكاد تتلقاها حتى تذكر أوامر صالح بن عبدالقدوس إذ يقول .

واخفض جناحك للاقارب كلهم بتذلل ، واسمح لهم ان أذنبوا

ويقول .

وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ثرثارة فى كل ناد تخطب

وأوامر عبد الله باشا فكرى إذ يقول .

إذا نام غر فى دجى الليل فاسهر فقم للمعالى والعوالى وشمر

ويقول .

وسارع إلى مارمت مادمت قادرا عليه وإن لم تبصر النجح فاصبر

بل ربما قادنا تداعى المعانى إلى ناحية أخرى . فذكرنا أوامر الارشادات الصحية التى يقرؤها الناس بظاهر كراسات التلاميذ

(٣)

وليس أفضل من الموازنة فى تقدير القيم وتحديد المراتب ، فلنعرض إذا أمثلة من تصوير الشعراء الاخرين لألوان من الاخلاق ، ولنتدبر طرائقهم فى التناول والتصفيح والعرض ، لنرى غاية مايبلغون فى ذلك كله من درجات البراعة والاحسان

قال أبو تمام يدعو إلى المحافظة على حرية القول والعقيدة ، وإلى الصبر واحتمال المكروه فى سبيلها .

سأصرف وجهى عن بلاد غدا بها لسانى ممقولا وقلبى مقفلا

وإن صريح الحزم والرأى لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

وقال المعرى يوصى الاباء ألا يأمنوا الأبناء وينصح لكل إنسان أن يتهم نفسه ويسىء بها الظن .

احذر سليلك ، فالنار التى خرجت من زندها ان أصابت عوده احترقا
والنفس شر من الاعداء كلهم وإن خلت بك يوما فاحتر زفرقا
وآكل القوت لم يعدم له عنتا وشارب الماء لم يأمن به شرقا

وقال الطغرائى ينفر الأغنياء من الشح ، ويرغبهم فى السخاء والبذل :

ثراء الفتى من دون إنفاق ماله فسادو إنفاق الثراء نماؤه
فأنفق فإن العين يركد ماؤها فيأسن ، والمنزوح يعذب ماؤه

فنحن هنا تجاه مذاهب وآراء فى الأخلاق والحكمة ، يعرضها هؤلاء الشعراء ويدعون إليها ، لا بالأمر بها والنهى عن خلافها فقط ، ولكن بالاحتجاج وضرب الأمثال وإقامة البرهان أيضا . فإذا هم فلاسفة فى شعرهم ، أو شعراء فى فلسفتهم ، وما من هذا شىء فى شعر شوقى يمكن أن نقرنه إلى هذه الآثار ، أو أن نعرضه معها فى منزلة سواء .

ولا بأس أن نقدم بما هنا قطعة لابن الرومى يصور فيها الحقد وأصحابه تصويرا فريدا ، لا أحسب أن شاعرا آخر سبقه إليه ، وبلغ فيه مبلغه من البراعة والافتنان فلم ننظر فيها معا ، لنرى ماذا صنع لموضوعه وماذا قال فيه ، وأى فرق هناك بين فنه وفن شوقى على ما بينهما من اختلاف فى الموقف وتباين فى الموضوع .

قال ابن الرومى :

حقدت عليك ذنبا بعد ذنب ولو أحسنت كان الحقد شكرا
أديمى من أديم الأرض فاعلم أسىء الريـــع حين تسىء بذرا
ولم تك يالك الخيرات ـ أرض لتزرع خربقـــا فتريع برا

يسمى الحقد عيبا وهو مدح كما يدعون حلو الحق مرا

فابن الرومى فى مقطعته هذه يدافع عن الحقد ، ويلتمس المعاذير للحاقدين ، وهو إذ يتكلف هذا وذاك إنما يدافع عن قضية خاسرة ، المتهمون فيها جناة مذنبون سبق أن قال فيهم التهذيب الدينى والخلقى كلمته وقضى قضاءه المبرم . وقد ارتضى الناس حكمه عليهم ، واتخذوا منه مبدأ يؤمنون به ، ويورثونه أبناءهم ، ويجتنبونهم الوقوع تحت طائلته ، وهم لهذا لا يقبلون عنه رجوعا ، ولا يحبون أن يسمعوا فيه خلافا أو يطيقون جدلا ، ومع ذلك لقد استطاع الشاعر بفنه الباهر ، وبيانه الساحر وألمعيته التى لا تبارى أن يجعل من الحقد فى نفسه فضيلة بريئة ، بل ضحية شهيدة . وإنما جنى عليها الناس تسامحا أو ضلالا ، بما يكون فى لغتهم من توسع ، أو يقع فيها من ترخص التسمية بأسماء الأضداد فى بعض الأحيان ، فسموه عيبا وما هو بعيب ، كما يصفون الحق بالمرارة وما هو بمر . واستطاع كذلك أن يصور الحاقدين تصويرا فاضلا كريما ، ينفى عنهم العيب والذم . ويجعلهم أهلا للكرامة والحمد ، فهم ليسوا فى رأيه كما يصورهم العرف ضعافا مستحقرين ، ولكنهم عدول مسالمون وأباة مدافعون ، يلزمون حدودهم ، ويجتنبون الناس اذاهم ، ولكنهم يعرفون للمحسن إحسانه . ويأخذون المسىء باساءته جزاء وفاقا ، لا بغى ولا عدوان .

وما كان لهم أن يجزوا بالسوء احسانا أو بالعرف نكرا ، وقد نبتوا من الأرض وطال فيها مقامهم ، فلم يكن بد أن يأخذوا إخذها فى المعاملة والجزاء ، وهى انما تغل للباذر من نوع ما يبذر ، فتعطى باذر البر برا ، وباذر الخربق خربقا ، لا خلاف ولا تخلف .

هذا ما يقول ابن الرومى عن الحقد وأصحابه ، وهذا ما صنع له ولهم ، وليس معه غير فنه وقريحته : صور متلاحمة وأمثلة صادقة ، ونظرات بارعة ، وتتبع عجيب وتخريج رائع ، وافتنان ليس له نظير .

والقضايا المرسلة بغير حجة ولا تعليل من الفن أو الفلسفة، والا هذه الخطرة الشعرية التي تتراءى في قوله :

وكان جنابهم فيها مهيبا وللاخلاق أجدر أن تهابا
فلولاها لساوى الذئب ليثا وساوى الصارم الماضي قرابا

ومع ذلك لقد أعجب بها شوقي على ما يظهر ، فكررها كدأبه اذ يقول :

لو كان في الناب دون الخلق منقبة تساوت الأسد والذؤبان في الرتب

فزادها التكرار تفاهة على تفاهتها .

لقد كان شوقي بلا مراء شاعرا موهوبا ، مهما يقل خصومه عنه، ويعددوا من مآخذهم عليه ، ولكنه ليس في شعر الأخلاق كمثله في بعض الأغراض الاخرى، بل أخشى ألا يكون في هذا اللون من شعره شيئا مذكورا ، ويظهر أنه كان يعتمد فيه على حسن رأي الناس في الفضيلة وإيمانهم بالحاجة إليها ؛ فكان يقنع في تصويرها والترغيب فيها بأول ما يستح له من فكرة ، وأقرب ما يحيط به من مادة خيال ؛ ثم يقف عندما يتهيأ له من ذلك كله ؛ لا يحاول المزيد عليه أو التغيير منه إلا بمقدار يسير .

ولعل هذا كان سرا لاستكثار من ذكر البناء ومشتقاته فيما روينا له قبلا من الأبيات ، فالأبنية كما هو معلوم من أقرب المقربات الى ذهن الرجل الحضري المقيم وأكثرها تعرضا له وحضورا فيه .

على أننا أخذا على خطتنا من نصفة الرجل والاشادة بمزيته — نعترف في غير توقف ولا مواربة أن أبياته في الاخلاق أو كثيرا منها على الأصح قد أوتي حظا غير قليل من عذوبة الماء ، وصفاء الجوهر ، واستواء النهج ، وتجاوب الجرس ولو أصابت مثل هذا النصيب من افتنان التصوير ، وتصنيع الخيال ، وحسن المراوحة بين التماس العلة وإقامة الحجة لتأييد المذهب — لكانت شيئا عظيما .

أحدهما أن شوقى قد أكثر من ذكر الأخلاق فى شعره ، وأدار القول فيها على كثير من المقامات . أما شعراء عصره فأغفلوا ذكرها ، أو أقلوا منه .

والأمر الآخر أن شوقى حين أخذ ينظم شعر الأخلاق إنما كان يبدأ عملا فى أصلح الأوقات له وأحقها به . ومن توفيق الله لامرىء فى عمل أن يهديه لوقته ، ويشرح صدره لأدائه فيه ، فإذ ذاك يتاح له من النجاح فيه بالجهد الهين والاحساس القليل مايتدر أن يتاح له مثله أو قريب منه بالجهد الشاق والأحسان الكثير حين يؤديه فى غير أوانه المقدور .

فى الوقت الذى كان شوقى يقيم فيه مجده الشعرى كانت مصر تقبل وتتجمع للمطالبة بحقها فى الحياة الحرة الكريمة ، بعد ما أصابها من الارتكاس والتبدد فى الثورة العرابية . وكان جبار الاحتلال لايعدم أن يجد من ضعفاء النفوس وأصحاب المطامع الشخصية نصراء يمضون إرادته ويهابون سطوته . فكان شعور الناس إذ ذاك مزاجا من الطموح والعزم والنقمة وابتغاء الأسباب .

فاذا تحدث اليهم شوقى أو سواه عن الأخلاق ، وأشاد لهم بعملها فى إقامة بناء الامم وإصلاح حال المجتمع فقد شاركهم فيما هم فيه ، وترجم لهم عن بعض مايشغل بالهم ، ويحرك مشاعرهم ، ويدعوهم إلى الاصغاء والاستشراف عسى أن يسمعوها قولا ، أو يروها عرضا . فيكون لمقاله فيهم من المنزلة وجلالة الشأن ولطف المدخل وطيب الموقع وحسن التقبل مالا يكون له حين لايقع فى أوانه ، ومالا يكون لكل حديث آخر ليس من همهم بسبيل .

ولعل حسن المناسبة نفسه هو الذى أتاح لرسالة مصطفى كامل فى الوطنية أن تلاقى مالاقت من القبول والاستجابة ، ولعل فقدان المناسبة أيضا هو الذى صرف الناس عن رسالة الأمام محمد عبده فى الأصلاح الدينى ، ونفرهم من رسالة قاسم أمين فى تحرير المرأة والدعوة إلى إنصافها . وأعتقد أن لو تأخر الزمن بكلا هذين الزعيمين الجليلين الى عصره المؤقت لهانت متاعبه ، ولنالت رسالته حقها من الاستجابة

وتوفيق الله فيه فقط . ولكن يستمده كذلك من مناسبته وجوه ، ومن صلته بالذين يقال لهم ، ومن غير ذلك من ينابيع القوة والتمكين . واذا لم تكن المناسبة أغزرها فى هذا الباب فيضا وأشدها تأثيرا فليست على الاقل بالتى لايحسب لها حساب كبير.

وهانحن أولاء نسمع كثيرا من الحكم المتداولة ، يرددها الناس على أسماعنا غدوا ورواحا من مثل : الصبر مفتاح الفرج ، ولا يغنى حذر من قدر ، فلا نهتز لها ، ولا نحفل بها ، ونمضى لشئوننا معرضين كأننا لم نسمع ، وكأنها لم تقل . وماذلك لأن التكرار أو شيوع التداول قد أخلق جدتها ، وبخس من قيمتها فحسب ، ولكن لأننا أيضا نكون إذ ذاك فى شغل عنها بما ليس بينها وبينه شيء من مناسبة وإذا كنا على حال تناسبها رواية تلك الحكم طربنا لها ، وأعجبنا باصابة معناها وصدق دلالتها ، وقد لانملك أن نرد أنفسنا عن استعادة قائلها أو ترداد روايتها كأن لم يكن لنابها من قبل عهد .

والا فليقل لنا من شاء كيف استطاع قول شوقى :

وإنما الأمم الاخلاق مابقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أن ينال كل هذا الحظ من شيوع الرواية ، وكثرة الاستدلال ، حتى إن بعض الناس كما يقول هيكل باشا فى مقدمة ديوان شوقى لايكاد يصدق أن البيت لشوقى أو أنه يمكن أن يكون له أو لأحد من شعراء العصر الحديث ويأبى الا أن يعود به الى أزهى عصور اللغة وأحفلها بأمراء البيان .

نعم ليقل لنا من شاء كيف استطاع هذا البيت أن يكون على ماوصفنا مع أنه ليس أفضل أبياته فى الاخلاق ، بل ربما كان فيه من المآخذ ماليس فى بيت آخر منها فهو أولا يجعل الأمة شيئا واحدا ، لامزيد عليه فى عد مقوماتها ، ولا معدى عنه فى خلقها ، فاما أن يبقى فتبقى الأمة معه ، واما أن يذهب فتذهب على أثره ولا يبقى لها بعده حقيقة ولا كيان . فالأمة فى رأيه أخلاقها ولا شيء غيرها . وماهو بها فقط فى الواقع ، ولكن معها مقومات أخر لابد منها ، ولا غناء بعضها

وقد يقال : ان شوقى آثر أن يعرض قضية الإخلاق هاهنا فى معرض المبالغة أو التجوز ، ليدل على جلالة شأنها بالاضافة إلى سائر المقومات وعندى أن هذا القول أو هذا الاعتذار لايجدى على البيت شيئا . فشوقى إنما يعالج فيه كما لايخفى نظرية اجتماعية خطيرة ، يريد أن ينفخ فيها روح الفن والخلود ، عسى أن يمضى مقاله فيها مع موكب الزمان حكمة بالغة ، يتلقفها الناس جيلا بعد جيل ، ليقبسوا منها الهداية والرشاد فى أهم ما يعنيهم من مسائل الاجتماع ، وما أحسب أنه يصح أن يكون للتجوز والمبالغة على هذا النحو مجال هنا أو مقام . إذا صح أن يكون لهما نصيب من هذا وذاك فى الوصف أو المدح مثلا . فهما ينفخان فى المعنى ، ويزيدان أقطاره عرضا وطولا ، فاذا هو ضخم هائل ، تهون جيرته إلى جانبه . ويتحيفها التضاؤل والانكماش ، حتى تصير شيئا تافها لا شأن له ولا نفع فيه . وكان خيرا من هذا للبيت وأضمن لسداد معناه أن يودعه الشاعر مقومات الأمة كلها . ويبين مبلغ الاحتياج اليها ، ثم يختص الأخلاق إذا شاء بما هى أهل له من إيثار . أما أن يقصر الحديث على الأخلاق ، ويؤتيها وحدها الفضل كله فنقص وقصور ، هيهات معهما أن يتحقق المراد بالبيت على وجهه .

والبيت ثانيا يعنى بالأخلاق الفضائل ، كدأب أكثر أبيات شوقى فى الأخلاق ولسنا نرى لهذا التخصيص ضرورة ولا مبررا ، بل لانرى فيه خيرا ولا له فائدة فان للفضائل خاصة أكثر من اسم فما حاجتها الى هذا الاسم المشترك بينها وبين غيرها ؟ وما المزية البيانية التى تدعو الى هذا التخصيص ؟ اللهم لا شىء فيما نعلم إلا أن تسلب الطبائع الانسانية اسما من أسمائها المتعالة ، بل اسمها الاصطلاحى الذى أجمع الباحثون على تسميتها به فى دراسة الاخلاق .

صحيح أن بعض النصوص اللغوية يفسر الأخلاق بالمروءة والدين الى جانب تفسيرها بالسجايا والطبائع ، ولكن الاصطلاح العلمى كما ذكرنا انما يستعملها بمعنى الطباع على الاطلاق ، بل ان الاستعمال أيضا ليظاهره فى ذلك ، كما يؤخذ

انا وجدنا الناس عودين طيبا وعودا خبيثا لا يبض على العصر
تزين الفتى أخلاقه وتشينه وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدرى

والبيت ثالثا يجعل بقاء الأمة رهينا ببقاء أخلاقها : تبقى ما بقيت ، وتذهب حين تذهب . وتلك قضية غير مسلمة حتى اذا جاريناً شوقى فى استعمال الاخلاق بمعنى الفضائل ، لأن فضائل أى أمة لا تعنى حتما الفضائل الانسانية فقد يكون للأمة أخلاق تدين بها ، وتنكر التخلى عنها وهى فى نفسها رذيلة ممقوتة . فعرب الجاهلية مثلا كانت لها أخلاق ذميمة أنكرها الاسلام فما زال بها حتى أبطلها وأحل ضدها محلها ، ومع ذلك لم تر الامة ولا قسما منها يذهب . بل رأيناها تقبل وتتجمع وتصح وتقوى . ثم تنساح فى الارض ، فتملؤها حضارة ونورا وعدلا ، بعدما ملئت همجية وظلاما وظلما .

وقد استطاع شوقى فى قصيدة ذكرى المولد أن يتلافى هذه المآخذ فى مقطعة منها . عرض فيها للاخلاق وآثارها بالحديث والبيان . قال :

بنيت لهم من الاخلاق ركنا فخانوا الركن فانهدم اضطرابا
وكان بجنابهم فيها مهيبا وللأخلاق أجدر أن تهابا
فلولاها لساوى الليث ذئبا وساوى الصارم الماضى قرابا
فإن قرنت مكارمها بعلم تذللت العلا بهما صعابا
وفى هذا الزمان مسيح علم يرد على بنى الأمم الشبابا

فلم يكد يسمى الفضائل أخلاقا فى البيت الاول والثانى ، حتى عاد فسماها مكارم فى البيت الرابع . ثم هو لم يجعل الفضائل وحدها مساك الوجود والبقاء فى الأمم بل أضاف اليها العلم . وقرنه بها ومع ذلك لقد جعل قصارى ما يملكان للأمة أن يذللا لها العقبات . ويمهدا لها السبيل الى المعالى . ثم خص العلم وحده بعد جعله

الفضائل الانسانية عامة ، فكأنه لم يقع فى المآخذ الآخذة عن غفلة أو قلة بصر ،

على أننا فى الواقع لانعرف تاريخ قصيدة تهنئة الامير عباس وهى التى منها بيت : وانما الامم الاخلاق . . . ولا تاريخ قصيدة ذكرى المولد . وهى التى منها القطعة الاخيرة . نعم نعرف أن القصيدة الاولى من أقدم شعره . والظاهر من أمر القصيدة الاخرى أنها من شعره الحديث أو على الاقل من الشعر الذى قاله بعد عصر الوالى عباس حلمى .

والذى لاشك فيه على كل حال أن شوقى لم يستطع عرض قضية الاخلاق وعملها فى بناء الأمم عرضا سليما وافيا الا فى أربعة أبيات . فللايجاز بلا شك دخل كبير فى هذا القصور الذى ذكرنا فى بيته المشهور .

على الجندى ناصف